شـــــارع الـرشـيـــــــد
تـداعـيـات ومـقـتـرحـات أولـيـة لإحـيـائـه ★

على الرغم من الدراسات والمقالات والنبذ الكثيرة التي تناولت شارع الرشيد، قلب بغداد النابض، ورغم قسوة الأمراض التي اعترته، واغلبها تتحدث عن الجوانب التاريخية والاجتماعية، إلا أن الحديث عن هذا الشارع الفريد في موضوعه، جملة وتفصيلاً، لا ينقطع. فما أن تذكر بغداد، حتى يذكر شارع الرشيد، بأبنيته الجميلة وأسواقه الباذخة ومساجده القديمة ومحلاته العريقة وأناسه الطيبين .

| ٢ - ١ |

رفعة عبد الرزاق محمد

وعلى الرغم من أهميته التراثية والمعمارية، وبقاؤه أحد أبرز معالم بغداد القديمة، فقد تعرض للعديد من النكبات، غير أن نكبته الأخيرة بإغلاق أقسام مهمة منه، وتحول الكثير من وظائف أبنيته ومنشآته إلى غير ما كان عليه قبل عقود، كانت الأكبر. والمتجول في الشارع في يومنا، ينتابه الأسف لما آل إليه، غير أن النكبة . في حقيقتها . غير جسيمة، فالشارع لم يزل يمتلك نحو خمسين بالمئة من أبنيته القديمة التي شيدت في النصف الأول من القرن المنصرم ، ونحو سبعين بالمئة من رواقه الشهير بأعمدته الطويلة، وهي .كما يبدو .هوية الشارع. كما أن مسار الشارع لم يتغير إلا في منطقة السنك، بسبب الجسر الذي يربط جانبي المدينة، ويقع شارعنا تحت نهايته الشرقية.

واليوم يتجدد الحديث عن إحياء شارع الرشيد إحياءً شاملا، ولا حديث عن إعادة الحياة إليه إلا بإعادة تعمير وتجديد أبنيته التراثية الباقية ورواقه الشهير. وسنقف في هذا المقال السريع على جملة من المقترحات، يعتقد كاتب هذه السطور، أنها جديرة بالنظر مع الخطط والمقترحات الأخرى.

إني أخشى على الشارع بعد تصاعد صيحات المطالبة بإصلاح أمره، أو التسرّع باتخاذ القرار، من خيال التطوير وتجريبية الشركات الهندسية التي يعهد إليها تنفيذ عملية التطوير المعماري. فالشارع وحدة واحدة ليست لها صلة بما حولها من محلات وجسور، فتلك لا تتصل مع الشارع إلا بمنافذ محددة، والحديث عنها ليس محله هنا.

ومنذ البدء، كانت للشارع حكاية معمارية متميزة، فلم تعرف بغداد قبل فتح شارع الرشيد عام ١٩١٦، سوى شارع ضيّق يمتد من سوق الخفافين وينتهي عند رأس جسر الأحرار، هو ما يدعى بشارع المستنصر أو النهر. ولعله من بقايا دار الخلافة العباسية التي كانت تضم قصور الخلفاء وحريمهم وما يتصل بمقر الخليفة. وتذكر كتب الخطط البغدادية أنها كانت تمتد من شارع السمؤل (البنوك) حتى محلة المربعة التي تطل على دجلة، وهو على أية حال لا يمكن تسميته بشارع، أو قل انه زقاق عريض على غير ما عرف في أزقة بغداد.

إن جميع أزقة بغداد الرئيسة كانت تبدأ من نهر دجلة تمتد عمودياً أو شعاعياً إلى مختلف أطراف المدينة (انظر إلى خرائط بغداد في القرون المتأخرة)، كما أن معظم الأسواق البغدادية القديمة يشملها هذا النظام، وان الكثير من هذه الأزقة تمتد إلى ما هو قريب من سور بغداد المزال عام ١٨٧٠، على عهد الوالي مدحت باشا (وكان هذا الأمر من أسوأ إجراءات هذا الوالي) أو قريبا من السدة الشرقية التي أقيمت لحماية الجانب الشرقي من فيضان دجلة، وقد أقيمت عام ١٩٠٩، واستمر أمرها الى أواخر الخمسينيات حيث أزيلت. فكان شق شارع الرشيد عام ١٩١٦، من شمال المدينة إلى جنوبها، تقطيعا لهذا النظام، وعلى غرار الأمر نفسه شق شارع السعدون عام ١٩٣٢، وشارع غازي (النضال) عام ١٩٣٦، فشارع الشيخ عمر في نفس العام، فشارع الخلفاء عام ١٩٥٧. والأمر نفسه في جانب الكرخ. يبلغ طول شارع الرشيد من باب المعظم إلى الباب الشرقي (١٢٠و٣) كم، وهذه المسافة في الربع الأول من القرن العشرين هي طول مدينة بغداد القديمة من جانبها الشرقي (الرصافة)، أما الجانب الغربي (الكرخ) فهو أصغر من ذلك، وعرض الشارع لا يتعدى الـ(٥و١٢) متر، غير أن السائر مشياً في الشارع لا يكاد يشعر بطول الشارع بسبب الرواق الطويل على جانبي الشارع، وهو العلامة الفارقة للشارع وسر جماليته.

ويبدو أن الوعي بحماية الشارع والحفاظ على تراثه، قد بدأ منذ ثلاثينيات القرن الماضي، فما ذكره المرحوم محمود صبحي الدفتري في بعض ما أملاه، انه في عهد أمانته للعاصمة في الثلاثينيات أراد توسيع شارع الرشيد في بعض مناطقه، إلا انه واجه معارضة شديدة، فرد على منتقديه أنهم سيندمون على معارضتهم في المستقبل!، وفي عام ١٩٤٦ بدأت أمانة العاصمة في تطوير شارع الرشيد، إلا أنها اختارت وسيلة هدم بعض المؤسسات التراثية، ومنها جامع مرجان فقد كان حائط الجامع على الشارع كبيرا وجميلا، إلا أن معاول الهدم لم تبق عليه، ما أثار حملة نقد كبيرة لجرأة الأمانة بهدم هذا الأثر الذي يرقى إلى العهد المغولي، ولعبت جريدة (صوت الأهالي) دورا كبيرا في ذلك. وكان المقال الشهير لصاحبه الأستاذ كامل الجادرجي، تحت عنوان (هدم جامع مرجان بآثاره الفريدة جناية على الفن) حديث الرأي العام، فبعد حديثه عن تاريخ بغداد الغني الحافل وفقره بالوقت نفسه بآثاره القديمة، قال: فوجئ الناس بهدم الجامع والظاهر أن أمين العاصمة الذي اعتبر هذه القضية قضية شخصية، عد نفسه مخذولا، فجدد نشاطه، واستعمل نفوذه الشخصي لدى الوزارة الحاضرة التي لم تعتبر قرار الوزارة السابقة بهذا الشأن قرارا نهائيا، فاستصدرت قرارا مستعجلا بهدم الشارع. وكم كانت دهشتي عظيمة عندما رأيت العمال يهدمون البناء من دون أن تكون هناك عناية بالمحافظة على تلك الآثار النفيسة، فكانت الكتابات والزخارف تتحطم وتنهار تحت الأنقاض من غير أن تكون هناك مراقبة ما من جانب مديرية الآثار، فذهبت إلى تلك الدائرة مستفسراً عن هذا العمل الشائن، فقيل لي انه لم يكن للدائرة سابق علم بهذا القرار الأخير، وأنها في تلك الحالة لم تتمكن من إنقاذ تلك الآثار إلا بنسبة ضئيلة، وهكذا تلاشى هذا الأثر النفيس نتيجة قرار طائش.

◆ نص الورقة التي ستكون محور الطاولة المستديرة التي تقيمها المدى

منطقة محررة

▪ نجم والي

في ما خصّ الكاتبة الصغيرة آنا فرانك ومجايليها

٢-٢

حتى تصوير المخرج الأميركي ستيفن سبيلبيرغ لفيلمه "قائمة شندلر"، الذي انتهى نهاية هوليوودية سعيدة: هيبي أند، كانت الكاتبة الصغيرة الألمانية آنا فرانك هي الشخصية النموذجية رقم واحد، التي تعبر عن الإنسان الذي لا يفقد إنسانيته رغم المعاناة المرعبة والتجارب المؤلمة التي يمر بها، على العكس، تلك التجارب المأساوية تصقل جوهره الإنساني، وتجعله يصبح أكثر شجاعة، رغم إن عليه أن يموت في النهاية. آنا فرانك طوّرت نفسها بنفسها، كانت تصنع نفسها، وكأنها تطبق الحكمة السارترية، "الإنسان مشروع نحو المستقبل". بل تحولت إلى قديسة يُحتفى بها في كل مكان، دون أن تكون خططت بنفسها لذلك.

لقد أحصى الناشر الجديد لدفتر يومياتها، العديد من المناسبات التي تم بها الاحتفاء عالمياً بآنا فرانك "الأيقونة". فعلى سبيل المثال في مدينة نيشينوميا اليابانية هناك كنيسة أطلق عليها "وردة آنا". الطريف بالأمر، هو أن اليابانيين حولوا دفتر اليوميات إلى أحد الأفلام المتحركة. هناك أيضاً كتاب طبخ، عُثر عليه – كما يُقال – عند المدخل الذي يقود للمخبأ في البيت الخلفي. ووصل الأمر بتقديس آنا فرانك إلى حدود المفارقة. الفيلسوف الألماني "تيودور أدورنو" يروي المزحة السوداء الآتية: "حكى لي أحدهم قصة امرأة، شاهدت عرض برودواي المأخوذ عن دفتر يوميات آنا فرانك، والتي أرعبها ما رأته، الأمر الذي جعلها تعلق في النهاية: O.K، كان عليهم أن يتركوا على الأقل هذه البنت عل قيد الحياة".

ربما لن يُحزن آنا فرانك هذا التقييم الفوق إنساني لها، فهي مثلها مثل أية فتاة ألمانية "عاقلة"، كانت تحلم بالتحول إلى نجمة سينمائية، تحلم أن تكتشف بالذات هوليوود موهبتها وشخصيتها. على أية حال تحقق حلمها، لكن بعد أن دفعت ثمناً غالياً، دفعت له حياتها: "أنت تعرف رغبتي المفضلة منذ وقتٍ طويل"، كتبت في ١٢ مايو ١٩٤٤ في دفتر يومياتها، "أن أصبح اولاً صحفية، ثم كاتبة مشهورة لاحقاً".

وبما يتعلق بالكتابة، من المهم أن نعرف، بأنها مثل غونتر غراس وفالتير كيمبوفسكي وكريستا فولف ويورغن هابيرماس وهانز مغنوس أنتسينبيرغير، فهي الأخرى تنتمي أيضاً إلى الجيل الذي وُلد في عام ١٩٢٩، الجيل الذي أطلق عليه "جيل مساعدي حاملي المشاعل النازية"، لأنهم كانوا في الشبيبة النازية يسيرون إلى جنب حاملي المشاعل الأكبر منهم سناً. هذا الجيل الذي كان عليه أن ينمو سريعاً بعد نهاية الحرب، والذي صعد بنفس السرعة في الوظيفة، إن لم يصبح بسرعة مشهوراً، لأن الجيل الذي سبقه إما مات في الحرب، أو انتهى للأسر أو كان ملطخاً بعار النازية بشكل فاضح. لكن آنا فرانك لم تحمل مشعلاً، مثل غونترغراس وزملائه إنما كانت مختفية وميتة، بالضبط في تلك السنوات التي كانت قوات العاصفة النازية تصنع من هؤلاء الصبية الصغار ذوي الرابعة أو الخامسة عشر عاماً نماذج لفتوة هتلر "الأبطال".

ومن يقرأ يومياتها، كما فعلت أنا في هذه الأيام، سيتساءل مع نفسه بالتأكيد، ماذا لو كانت ما تزال على قيد الحياة؟ نعم، لنتخيل: لو كانت آنا فرانك ما تزال على قيد الحياة، لكانت بلغت في أيامنا هذه ٨٣ عاماً، بالضبط في العمر الذي فيه غونتر غراس. ولو كانت ظلت على قيد الحياة، وكانت أصبحت بالفعل كاتبة – كما تمنت – لكان عليها أن تتنافس مع الإصدارات الجديدة لمارتين فالسير وغونتر غراس وأنتسينبيرغير. ولكن آنا فرانك لم تظل على قيد الحياة، لكي تمارس الكذب والنفاق الذي مارسه العديد من مجايليها المذكورين. كانت مطاردة وكان عليها أن تدخل سجل الذين قرر النازيون لهم الموت. ذات يوم وقبل سبعين عاماً بالضبط، عام ١٩٤٢ ألصقت آنا فرانك صورة فتاة جميلة في دفتر يومياتها: "إنها صورة، كما أتمنى لنفسي أن أكون عليها دائماً. حينها ستسنح لي الفرصة بأن أصل إلى هوليوود. لكن حالياً، أبدو غالباً بشكل مختلف تماماً". ولحسن حظ آنا فرانك بأنها عرفت ذلك مبكراً: فهي ظلت بالفعل مختلفة حتى في موتها.

متابعة

مدرسة تقاسيم الموسيقية في لندن
إسهام في نشر الموسيقى التراثية الشرقية

لندن / سوزان الخالدي

التقى حلم تأسيس مدرسة للموسيقى التراثية الشرقية مع رغبات مجموعة من طلاب أستاذ العود أحمد مختار، وصاروا يحاولون عن طريق مجلس بلدية لندن للفنون تحقيق المشروع، خصوصا وأن عمدتها أعُجب بفن الأستاذ مختار المتشبث بالتراث كما أشاد بمواقفه الإنسانية غير المناصرة للدكتاتوريات والتواقة للحرية، وبعد حصوله على جائزة الملكة إليزابيث لفنون الشعوب صار أقرب لتحقيق المشروع، فعملية تأسيس مثل هذا المشروع ليس بالهيّن ولا بالسهل في ظل دولة عريقة مثل بريطانيا، دولة المؤسسات والاحتراف والتخصص والمنافسة الايجابية الشديدة.

مثابرة الأستاذ الموسيقار احمد مختار وجهد الطلبة وإصرارهم وخصوصا في السنتين الأخيرتين، وبدعم بلدية لندن تم الحصول على موافقة مؤسسة أرك للفنون باحتضان مشروع المدرسة وتوفير المكان اللازم لها . وهكذا تم تأسيس مدرسة تقاسيم للموسيقى في بداية العالم الماضي ٢٠١١، أما في بداية هذا الشهر فقد افتتحت المدرسة رسمياً في يوم مفتوح للجميع حضره حشد كبير من المريدين والدارسين لآلة العود وللموسيقى الشرقية والعراقية. هذا الجهد الكبير والمثابرة التي أبداها الأستاذ وطلابه نحن بحاجة لها في بلد مثل بريطانيا يعتبر الفنون والموسيقى أرقى لغة في التخاطب بين الشعوب، فقيمة الشعوب تظهر من خلال مبدعيها وموروثها الحضاري، أما إنتاجها الثقافي فيدلل على رقي تلك الشعوب، كما تقول الأمثال الانجليزية.

قال مايك سميث وهو عازف عود وأستاذ الموسيقى الشرق أوسطية في جامعة مانشستر: أنا احد المنظمين لافتتاح هذه المدرسة التي يرأس التدريس فيها الأستاذ احمد مختار الذي درّسني لسنوات عدة منذ ١٩٩٩ حيث بدأت عزف العود. وهو الأستاذ الصبور والذكي ويحلل ويجيب على أي نقطة وأي نقاش أو سؤال لدينا، كما يساعدنا على العزف الجماعي. إن افتتاح مدرسة تقاسيم للموسيقى مثير للاهتمام وأرجو أن يُعتمد من قبل المهتمين بالموسيقى الشرقية وآلة العود.

ورداً على سؤال كيف انجذب إلى آلة العود والموسيقى الشرقية، قال الطالب رمزي نور: هذه المدرسة الموسيقية تجمع الكثير من الناس ومن خلفيات ثقافية موسيقية متنوعة، وتجمع المهتمين بالموسيقى الشرق أوسطية والعربية تحديدا. فالموسيقى العربية فيها الكثير من الخصوصية والتفرد والجميع هنا مهتمون بدراستها، أنا مثلا درست الموسيقى في نيويورك واعزف في فرقة الجاز هناك لذا أنا أعرف الموسيقى الغربية جيداً وتعرفت على أسلوب الارتجال من خلال الجاز وبعد ذلك تعرفت على الموسيقى العربية التي تملك الكثير من عناصر الجاز.

ويقول مدرس آلة العود والجيتار فرانشسكو انزولي رداً على سؤالنا عن كيف بدأت فكرة التأسيس؟

أنا من ايطاليا أصلاً ولكنني أعيش في لندن منذ ١٩٩٩، لسنوات عدة درست وادرس الموسيقى والجيتار الكلاسيكي ثم الجاز في معهد فورنسا بايطاليا، بعدها درست الهارموني والتأليف الموسيقي، وعند انتقالي إلى لندن تقدمت إلى مركز الدراسات الشرقية والإفريقية جامعة لندن، وكنت محظوظا جدا أن التقي هناك بواحد من أهم الأساتذة في آلة العود، فدرست مع الأستاذ احمد مختار وتخصصت على يده في أصول العزف على العود والموسيقى العراقية التراثية والتقاسيم، التي فتحت لي آفاقاً جديدة وإحساسا جديدا.

الأستاذ احمد مختار بالرغم من انهماكه بالرد على الطلبة والحاضرين وإلقائه لمحاضرة عملية على الطلاب، سألناه عن سبب تسمية المدرسة بهذا الاسم، فقال: الاسم تقاسيم هو الهدف وليوضح نوع الرحلة التي سيمر بها الطلاب والتي تبدأ من التراث الموسيقي الأصلي للشرق الأوسط في قوالب وإيقاعات متنوعة وعلى أساس المنهج، نطور مهاراتهم ومعرفتهم الموسيقية لكي يصلوا إلى عزف قالب الارتجال وليعبروا عن مشاعرهم وأحاسيسهم بالتقاسيم الموسيقية لان إظهار التقنية والعضلات في العزف أمر ساذج في أوربا لأننا تجاوزنا هذا الموضوع منذ قرون، المهم الروح، أما التقنية المعتدلة فهي وسيلة، فهنا لا نهتم بالعزف العضلي، هذا هو هدف المدرسة تعلم العزف الروحي والتقاسيم التي هي روح العزف.

وعن منهاج المدرسة أضاف مختار: لدينا دورات موسيقية أكثر هذا العام، بسبب الإقبال المتزايد، وسنقدم أسلوب مزج المواد الموسيقية المشتركة بين الموسيقى الغربية والعربية بطريقة فنية علمية، وليست عشوائية، ووزعنا موسيقى بعض الإلحان العربية لعزفها على الجيتار وسندعو طلاب الجيتار لتعلمها بأسلوب العود (وهي تجربة جديدة في العالم أي العزف على الجيتار بأسلوب العود)، وستكون تجربة ثرية من حيث التفاصيل والتوزيع.

أحمد خلف في نادي السرد
أسئلة عن إشراقات إبداعية عطّلتها الحروب

محمود النمر

تمتد تجربتي إلى قرابة الخمسين عاما من قراءة وكتابة القصة القصيرة والرواية ، بلا انقطاع أو كلل أو ملل ، شأني شأنكم في ذلك من حب ووله وتعلق دائم بهذا النوع الأدبي، الذي كبلنا جميعا بحبه والتعلق بفك أسراره والنزول بعيدا إلى خفاياه، ووضع اليد على مكامن قوته أو نقاط ضعفه .

بهذه الكلمات ابتدأ الروائي احمد خلف حديثه حول سيرته الذاتية في الكتابة القصصية والروائية عبر خمسة عقود.

كان احمد خلف ضيف نادي السرد في اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين. أدار الجلسة القاص محمد علوان جبر الذي قال : يطرح احمد خلف أسئلته الكثيرة، وهي أسئلة الهم الثقافي، أسئلة عن المهمل والمهم عن الحياة، أسئلة عن إشراقات قتلتها وعطلتها الحروب وسلطة العسكر، السلطة التي قال لها يوما حينما أقيم احتفال هنا بمناسبة صدور مجموعته – خريف البلدة – عام ١٩٩٥ وقف احد خلف شاهداً على تجربة الخريف، مجيبا على أسئلة كبيرة، ما هو المطلوب من القاص الآن؟ وبأي أسلوب يجب أن يكتب؟ قال ببساطة يجب أن نكتب بالطريقة التي اخترعها الصبي بيدرو بطل قصة – الإنشاء – للقاص التشيلي انطونيو اسكارمينا، المنشورة في جريدة الجمهورية، يومها ساد صمت عميق قطعه المحاضر ليعود الصمت مرة أخرى، قطعه احمد خلف ليواصل شهادته الجريئة، أمام جلاس الصفوف الأولى، واقصد جلاس السلطة الذين لم يخفوا مسدساتهم الكبيرة. بيدور الذي اختار أسلوبا في كتابة درس الإنشاء، فاحمد خلف بهذه المسارات الإبداعية المهمة وهذه الجرأة، يخلق عوالمه التي يرسمها بدقة، متخذا من مدينة الحرية او مدن أخرى وهمية وافتراضية لكنها تنتسب إلى أحلام الفقراء الضائعة. وأضاف احمد خلف : التعامل مع هذا الجنس من الكتابة كما لو أصبح في نظرنا كائنا حيا، ينبغي التعامل معه بحذر شديد وعناية فائقة لأنه قادر على منحنا جانبا من التعبير عن حريتنا المفقودة.

وطرح احمد خلف جملة من الاسئلة حول ابرز الملاحظات التي تشكلت لديه حول كتابة الرواية وقال: أ هي موقف من الحياة؟ أم هي تعبير عن حالة نفسية أم هي تسلية فنية؟ وغالبا ما أتساءل مع نفسي ،هل يمكن العودة إلى أسلوب بلزاك في – زنبقة الوادي – والأب غوريو – ونجيب محفوظ – في زقاق المدق؟ وهل انفلات الرواية الحديثة له ما يبرره؟ بحيث نتفق مع مارت روبير في توصيفها للرواية بأنها (منفتحة على كل الممكنات، كما هي حرة ومنفلتة؟)

وتحدث الناقد فاضل ثامر عن تجربة احمد خلف التي اعتبرها متميزة في طروحاتها الروائية والقصصية عبر أكثر من أربعة عقود التي شكلت علامة في واقع الرواية العراقية، مشيرا إلى مدينة الحرية التي ضمت الكثير من الأسماء المبدعة، وكذلك عمله في الإذاعة والتلفزيون في القسم الثقافي ، وأشار الى الصداقة التي تجمعهما بعلاقة وطيدة ما زالت مستمرة لحد الآن. وأكمل ثامر حديثه: كانت أول محاولة لي للامساك بتجربته من خلال الكتاب المشترك مع الناقد ياسين النصير بعنوان "قصص عراقية معاصرة"، الذي كان هو ثمرة التجربة الستينية في القصة العراقية التي تعبر عن وعي جيلي جديد، وكانت مجموعة تجريبية مهمة جدا في القصة العراقية وهي من التي ركزت في تلك الفترة على اتجاه جديد في الكتابة القصصية في الستينات بشكل عام، وكان زميلي الروائي احمد خلف دائما يبحث عن الجديد، وكان من القلائل الذين يعتبرون أنفسهم في حالة رهبنة عند الكتابة، لم تكن الكتابة عنده مجرد نزهة سياحية وإنما كانت هدف وقضية، مثلما بطل الرواية التي كتبها في – الحلم العظيم – الذي يعتبر حلم حياته أن يكون قاصا أو كاتبا أو روائيا. وتوالت المداخلات من قبل الأدباء والمثقفين وكان أبرزهم د.جمال العتابي – الروائي جهاد مجيد – القاصة إيناس البدران – القاص والناقد المسرحي عباس لطيف – القاص والروائي خضير الزيدي – د. سعد مطر – الناقد بشير حاجم .